

تاريخ القرآن

(131) وبقي الرسم العثماني للمصحف هو الأساس في خط المصحف الكريم قديما وحديثا ،
فحينما تطورت عملية الكتابة ، وتبلور فن الخط ، لم يفقد ذلك الأساس أهميته على الإطلاق ، إذ
ظل المنار الهادي لدى أغلب خطاطي مختلف العصور ، نظرا لاكتمال الصورة الأولى للمصحف ، وإن
انتقل الشكل في العموم من الخط الكوفي إلى الخط النسخي المعروف . " وتوجد الآن في مكتبات
العالم مجموعة كبيرة من المصاحف المخطوطة القديمة أو قطع منها ، بعضها مكتوب على الرق ،
وبالخط الكوفي القديم ، مجردة من النقط والشكل ، ومن كثير مما ألحق بالمصاحف من أسماء
السور وعدد آياتها وغير ذلك بحيث تبدو أقرب إلى الصورة التي كانت عليه المصاحف الأولى " (1).
وقد شاهدت كثيرا من هذه الآثار المصحفية في المتحف البريطاني في لندن ، مصنوعة
ومحافظا عليها ، بعناية أثرية فائقة ، وبحواجز زجاجية محكمة ، لا تصل إليها يد الناظر ،
وقد أشير ببعضها إلى تواريخ قديمة قد يرجع قسم منها إلى القرون الأولى ، ولا نعلم مدى
توثيقها . *** أما الرسم المصحفي الأول للقرآن ، أعني كتابته على الكتبة الأولى ، فقد جاء
دور الحديث عنه ، وأول ما نفجأ به ، هو الهالة الكبرى من التقديس لهذا الرسم مما يضفي
شيئا كثيرا من المغالاة التي لا مسوغ إليها في أغلب الأحيان ، وإنا وإن كنا لا نعارض تبجيله
والاعتداد به ، ولكننا نعارض الغلو في شأنه ، ويبدو أن هذا الغلو والتقديس ، وما صاحب ذلك
من هالات ، ما هو إلا تعبير عملي عن احترام جيل الصحابة الذين كتبوا المصحف عند توحيد
القراءة ، وإن كانت تلك الكتابة مخالفة لأصول الإملاء ، وقواعد الخط ، إذ الكتابة تصوير لنطق
اللفظ ، والعبرة بنطق ذلك اللفظ ، لا بتصويره ، والتطرف في إضفاء صفة التقديس على الكتبة
الأولى ، _____ (1) نقل هذا النص غانم قدوري ، عن جولد تسهير وغيره ، ط: محاضرات في
علوم القرآن: 93 ، وانظر مصادره .